خصائص اللغة العربية و مشكلتها

محمد يونوس

تلخيص: كل لغة من اللغات الاءنسانية خصائص تمتاز بها عن غيرها من اللغات. واللغة العربية التي هي لغة الأمة الاسلامية والأمة العربية تتميز بمزايا متعددة ما يحافظ على أصالتها ويدل على تفوقها حتى تتمكن من البقاء ومسايرة العصر مهما كانت الظروف. تقف هذه الدراسة على بعض الخصائص التي كانت في هذه اللغة العريقة منوها الى بعض المشكلة التي تعاني بها العرب بصفة خاصة ودارسي هذه اللغة بصفة عامة.

كلمة رئيسية : اللغة العربية, خصائص,مشكلة.

تقديم

اللغة العربية إحدى أكثر لغات العالم استعمالاً، وإحدى اللغات الخَمْس الرسمية في هيئة الأمم المتحدة ومُنظَّماتها، وهي اللغة الأولى لأكثر من ٢٩٠ مليون عربي، واللغة الرسمية في ١٨ دولة عربية، كما يُجيدها أو يُلِمُّ بها نحو ٢٠٠ مليون مُسْلم من غير العرب إلى جانب لغاتهم أو لهجاتهم الأصلية. ويُقبِل على تعلُّمها كثيرون آخرون من أنحاء العالم لأسباب تتعلَّق بالدين أو بالتجارة أو العمل أو الثقافة أو غير ذلك.

والعربية هي اللغة السَّامية الوحيدة التي قُدِّر لها أن تحافظ على كيانها وأن تصبح عالمية. وما كان ليتحقَّق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها؛ إذْ لا يمكن

فَهْم ذلك الكتاب المبين الفَهْم الصحيح والدقيق وتذوُّق إعجازه اللغويّ إلا بقراءته بلغته العربية. كما أن التُّراث الغني من العلوم الإسلامية مكتوب بتلك اللغة. ومن هنا كان تعلُّم العربية مَطْمَحًا لكلِّ المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو مليار مُسلم في شتَّى أنحاء العالم. ويمكن القول إن أكثر من نصف سكان إفريقيا يتعاملون بالعربية[١].

والحاصل إن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تربط المجتمع بالدين وهذا هو سر خلوده وبقائه لأن الله تكفل القرآن بالحفظ والقرآن منزل باللغة العربية فهي إذن محفوظ بحفظ القرآن.

خصائص اللغة العربية

لكل لغة مميزات خاصة بها تبين أصولها وأهميتها وقوة ثباتها وقدرة استيعابها لكل مفردات الحياة ومستجدات الأمور ومظاهر الجمال فيها, وللغة العربية مميزات قد لا توجد في غيرها من اللغات وتنفرد بها دون اللغات الأخرى وهي في الواقع كثيرة جمة[٢]. لكيلا يطول الكلام سوف يقتصر الباحث با لمميزات وهي كالآتي:

أ. المميزات الصوتية

إن الحروف العربية تتدرج وتتوزع في مخارجها ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى فتجد الفاء والباء والواو الساكنة ومخارجها من الشفتين من

---

[١] محمد الشويخات, الموسوعة العالمية.

[٢] محمد هزوي , مميزات اللغة العربية, مقالة منشورة في
http://arabic.rt.com/forum/showthread.php?t=52413

جانب والحاء والهاء والعين والهمزة ثم الغين والخاء على التدرج ومخارجها من الحلق أقصاه فأدناه من جانب اخر, وتتوزع بقي الحروف العربية بينهما في هذا المدرج. قد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفا أكثر عددا ولكنها محصورة مخارجها في نطاق أضيق وفي مدرج أقصر, قد تجدها مجتمعة متكاثرة في جانب الشفتين وما والاهما من الفم أوالخيشوم في اللغات الكثيرة الغنة أو تجدها متزاحمة في جهة الحلق, وفي كلا الحالين ضيق في الأفق الصوتي واختلال في الميزان الصوتي وفقدان لحسن الانسجام بسبب سوء توزيع الحروف. تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها بسعة مدرجها الصوتي سعة تقابل أصوات الطبيعة في تنوعها وسعتها, وتمتاز من جهة أخرى بتوزعها في هذا المدرج توزعا عادلا يؤدي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات.[٣]

هذا سر من أسرار اللغة العربية التي أخذت مسامع السامعين حين يسمعها وفي نفس الوقت سيطرت مشاعرهم ومن ثم أنزل القرأن بهذه اللغة.

ب. المميزات المعجمية

لا خفاء أن اللغة العربية أمتن تركيباً، و أوضح بياناً، و أعذب مذاقاً عند أهلها.[٤] يقول ابن خلدون: و كانت المَلَكة الحاصلة للعرب من ذلك أحقّ الملكات و أوضحها بياناً عن المقاصد.[٥] و قد رآها ابن فارس أنها أفضل اللغات و أوسعها، إذ يكفي ذلك دليلاً أنّ رب العالمين اختارها لأشرف رسله و خاتم رسالاته، فأنزل بها كتابه

---

[٣] محمد المبارك ,*فقه اللغة وخصائص الغربية*, (بيروت : دار الفكر), ٢٤٩-٢٥٠

[٤] *خصائص العربية و طرائق تدريسه*,(لبنان :دار النفائس),١٢ . نايف معروف

[٥] ابن خلدون عبد الرحمن , مقدّمة ,(بيروت :دار إحياء التراث العربي)٥٤٦.

المبين. و لذلك لا يقدر أحدٌ من التراجم أن ينقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية و الرومية، و تُرجمت التوراة و الزبور و سائر كتب الله عز و جل بالعربية. و السبب في ذلك يعود إلى أن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب[٦]. و تتمتع العربية بثراءٍ عز نظيره في معظم لغات العالم لقد تجمع للغة العربية من المفردات في مختلف أنواع الكلم الاسم والفعل والحرف مالم يتجمع مثله للغة سامية أخرى بل يندر وجوده في لغة من لغات العالم أجمع فيها للاسم خمسمائة اسم, وقد جمع الأستاذ دوهامر المفردات العربية المتصلة بالجمل وما يتعلق فبلغت خمسة الاف وستمائة وأربعة وأربعون كلمة. وألف فيروزبادي كتيبا في أسماء العسل جمع فيه ثمانين اسما للعسل وذكر أنه مع ذلك لم يستوعب جميع أسمائه.[٧]

بهذه الثروة اللغوية الضخمة تمكنت اللغة العربية من مسايرة العصر ومواكبته رغم حملة تضعيف اللغة العربية من فشو اللغة العامية والدعوة إلى تدمير هذه اللغة من قبل المستشرقين.

ج. المميزات الصرفية

اختصت اللغة العربية بخصائص صرفية منها :

أن الأصل الواحد قد يتوارد عليه عدة معان بواسطة التغيير في بعض الحركات أو زيادة بعض الحروف أو نقصها وأن ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة.فمثلا أخذوا من الضرب ضرب ويضرب واضرب وضارب ومضروب,

---

[٦] ١٣. الصاحبي, في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها ,(القاهرة)

[٧] محمد أبو سكين, *فقه اللغة*, (مصر : مطبعة الأمانة, ١٩٨١),١٠٦ عبد الحميد

وسموا آلة الضرب مضربا ومضرابا, وقالوا ضاربه أي جالده, واضطرب الشيء تحرك وماج, وحديث مضطرب, والضريبة ما ضربته بالسيف, وضاربه في المال من المضاربة وهي معروفة.

هذا كله إلى جانب المعاني المجازية التي يسعملون فيها الكلمة فيقولون ضرب الدراهيم والدنانير أي صكها واضطرب خاتما من ذهب أي أمر أن يصاغ له وضرب في الأرض إذا سار فيها مسافرا, وضرب في سبيل الله نهض, وضرب على يده كفه عن الشيء ومنعه, وأضرب البرد النبات إذا اشتد عليه البرد حتى يبس,وضرب المثل ذكره وقوله, وغير ذلك الكثير والكثير مما يدل دلالة واضحة على غنى العربية في الإشتقاق.والمجاز قل أن تجاريها لغة أخرى في هذا الشأن.[٨]

د. المميزات النحوية

اختصت اللغة العربية بأنها أوسع اللغات السامية وأدقها في القواعد النحوية واختصت بقوانين الإعراب التي تراعى عند تأليف الجمل وربط بعضها ببعض واختلاف أواخ كلمها تبعا لاختلاف العوامل مما لا يوجد له نظير في دقته وسعته في اللغات السامية الأخرى. وقد أشار علماء اللغة المعاصرون إلى هذه الخاصية للغة العربية، فيقول الدكتور علي عبد الواحد وافي اعتمادًا على أقوال المستشرق رينان :" تمتاز اللغة العربية في شئون التنظيم بتلك القواعد الدقيقة التي اشتهرت باسم قواعد الإعراب والتي يتمثل معظمها في أصوات مد قصيرة، تلحق أواخر الكلمات لتدل على وظيفة الكلمة في العبارة وعلاقتها بما عداها من عناصر الجملة.

[٨] المرجع نفسه,١٠٧

وهذا النظام لا يوجد له نظير في أية أخت من أخواتها السامية، اللهم إلا بعض آثار ضئيلة بدائية في العبرية والآرامية والحبشية.[٩]

كذلك تمتاز اللغة العربية بما لها من طرق متعددة في القلب والإبدال والنحت وغير ذلك الكثير والكثير مما كان له أكبر الأثر في مرونتها وسعتها ودقتها في التعبير في مختلف فنون القول, فهذه المرونة التامة وهذا الإشتقاق والمجاز والقلب والابدال والنحت هوالذي جعل اللغة العربية تستطيع أن تكون لغة القران الكريم والحديث النبوي الشريف وما فيهما من معان في منتهى السمو والرفعة والكمال وما فيهما من تعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم كما استطاعت بعد أن تكون أداة لكل مانقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم. وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية.[١٠]

وخلاصة القول أن اللغة العرية تمتع بالخصائص الصوتية وهي التي تمثل في انسجام حروفها وتوازن تراكيبها حتى تستخرج منه النغمات الموسيقية التي لايمل الأذن سماعها ولا يكل اللسان تلافظها. كما أنها تمتاز بالإعراب ما يتيح لها قدرة في توصيل المعنى بدقة بالغة يصعب ترجمتها بلغة أخرى.

مشكلتنا اللغوية

إن كبرى المشكلات المثارة في العالم العربي والتي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في

---

[٩] بلا ناشر ص :١٣ ر مصطفى أحمد , خصائص العربية بين القديم والحديث

[١٠] عبجد الحميد,١٠٨

هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفن أو الأدب بأغراضه وآفاقه الحديثة أو في ميدان الحياة العملية بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سيلها.[١١] وهاأشار الباحث إلى بعض مظاهر المشكلة التي عان بها العرب خصوصا والأمة الإسلامية عموما:

أ. إن ماحدث في سائر ميادن الحياة حدث مثله في ميدان اللغة فقد سارت النهضة اللغوية مع نواحي النهضة في خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت في طريقها كذلك المشكلات نفسها. لقد ت تردت اللغة العربية إلى ما تردت إليه الحياة في سائر مجالاتها الأخرى حتى إن هذا التردي والضعف لم يكن مقصورا على العامة من الناس بل شمل العلماء والفقهاء حتى كان يعجز الكثير منهم عن كتابة رسالة خالية من العجمة بريئة من الركاكة أو العامية سليمة من الخطأ وكان دروس الفقه والدين بل دروس النحو والبلا غة تلقى بلغة مشوبة بالعامية منحطة عن الفصحى.

ب. وجود الصراع بين دعاة العامية والتعريب ودعاة الفصحى. هذا الصراع بين الفريقين هو الذي ولد النزعة المعتدلة التي سادت فيما بعد فأخذت من الفريق الأول ضرورة الحفاظ على الأصالة في اللغة العربية ومن الفريق الثاني ضرورة الإستجابة لمطالب الحياة و المرونة في معالجة المشكلة اللغوية.

ت. ومن مظاهر هذه النزعات المنحرفة الدعوة إلى إغراق العربية في سيل من الألفاظ الأعجمية دون قيد أو شرط سواء أكنا نستطيع أن نجد لها لفظا يقابلها جديدا أو قديما أم لا ودون أن نراعي أوزان العربية وحروفها وأصواتها.[١٢]

---

[١١] ...محمد المبارك ,*فقه اللغة وخصائص الغربية*, (بيروت : دار الفكر),٢٢٧

[١٢] المرجع نفسه,٢٣٦-٢٣٨

ث. من المشكلات الداخلية التي يواجهها اللغة العربية على المستوى الداخلي ما يتعلق بالعملية التعليمية والتعلمية في داخل المدارس. كانت ضبابية الأهداف في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها ومحتوى المناهج التي يتعامل معها المتعلمون وطرائق تعليم اللغة واللغة المستخدمة في هذه العملية.[١٣]

من هذا العرض السريع تبين للباحث أن مشكلة اللغة العربية ترجع إلى أمرين , خارجي وداخلي. فالأمر الخرجي يتمثل في التأثير الأجنبي الذي هدفه القضاء على الإسلام بفصله عن معالمه وخصائصه. والأمر الداخلي يكمن في نفوس العرب والمسلمين الذين يفقدون الوعي الذاتي اللغوي وفشل عملية تدريس اللغة العربية.

الكلمة خصائص العربية

تنقسم خصائص الكلمة العربية إلى قسمين : قسم يتعلق بالتركيب العضوي وآخر يتعلق بالبناء والصيغة.

أ. خصائص التركيب العضوي

إن الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش في أسر وقبائل. ولكل كلمة مفردات من نوعها تلتقي معها في مادتها ومعناها فكلمة "قطع" مع تصاريفها الفعلية ومشتقاتها الاسمية هي والفعال المشتقة منها (أقطع وقطع وقاطع وتقطع وتقاطع وانقطع واقتطع واستقطع) وتصارفها ومشتقاتها ومصادرها ومصغرات أسمائها وغيرها تزيد على مائة وخمسين كلمة. ولو أخذنا كلمة "علم نفع غاب" أو أي أصل من الأصول لوجدنا أنه يندرج تحته

[١٣] محمود سيد, *اللغة العربية وتحديات العصر*, بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بدمشق عام٢٠٠٦

عدد كبير من الكلمات تتفاوت قلة وكثرة[١٤]. ولو قارن الباحث إلى بعض اللغات الأخرى ليجد فضل اللعربية من غيرها كما يتضح من الجدول الآتي:

الكلمة في العربية	الإنجليزية	الفرنسية	الألمانية
مبنى	Building	Le batiment	Das gebaude
جامعة	University	L`universite	Die universitat
مكتبة	Library	La bibliotheque	Die bucherei
تسلية	entertainment	Les divertissement	Die unterhaltung
أب	father	Le pere	Der vater
أم	Mother	La mere	Die mutter
جد	Grand-father	Le grand-pere	Der Gross vater
جدة	Grand-mother	La grand-mere	Die Gross mutter
أخ	Brother	Le frère	Der Bruder
أخت	Sister	La soeur	Die schwester

في هذا الجدول لاحظ الباحث أن الكلمات القصيرة في العربية ذوات لحرفين أو الثلاثة أوالأربعة تقابلها كلمات طويلة في اللغات الأوربية قد تصل إلى عشرة أحرف أوتزيد، ومن المعروف أن أقصى ما تصل إليه الكلمات العربية بالزيادة سبعة أحرف في الأسماء كما في استخراج، واستعمار، وستة في الأفعال كما في

[١٤] محمد المبارك , فقه اللغة, ٢٦٥

استخرج واستعمر، في حين أن الكلمات في اللغات الأوربية قد تصل إلى خمسةعشر حرفًا أو أكثر كما في internationalism بمعنى الدولية و incomprehensible بمعنى غامض في الإنجليزية، و enstschuldigung بمعنى معذرة في الألمانية.[١٥]

ولا شك أن لهذه الخاصية فوائد جمة في العربية ففيها توفير للوقت والجهد والمال ؛ فالنطق بالكلمات الصغيرة أخف على اللسان وأسرع في الوقت وأخصر في الكتابة من الكلمات الطويلة إضافة إلى سعة المفرادات التي تعطي من المعاني أكثر وأوضح.

ب. خصائص البناء والصيغة

تمتاز الكلمة في اللغة العربية بالتوالد والتنوع يقوم على اتحاد قوالب للمعنى تصب فيها الألفاظ وهياكل تبنى على هيئتها مواد الكلمات فتختلف حينئذ في الوظيفة التي تؤديها. وعلى ذلك فإن هذه الألفاظ : الناظر والمنظر والألفاظ سلم واستسلم وسالم والألفاظ نعلم وعالمات وعالمون تختلف مفردات كل مجموعة منها في مدلولها مع اتفاقها في أصل المفهوم العام الذي هو الظر والسلم والعلم. لقد اتخذ العرب في لغتهم للمعاني العامة والمقولات المنطفية قوالب أو أبنية خاصة فجعلوا للفاعلية والمفعولية والمكان والزمان والسببية والحرفة والأصوات والمشراكة والآلة والتفضيل والحدث ولمعان كثيرة صيغا خاصة قوالب بحيث إذا بنيت أي مادة من مواد الألفاظ على تلك الهيئة وصيغت في ذلك القالب أدت ذلك إلى المعنى متصلا بتلك المادة. مثلا قلت "التزاور مدعاة للألفة" فالتزاور مؤلفة من مادة زور

[١٥] مصطفى أحمد , ص :٥

وقالب "التفاعل" الدال على المشاركة فأصبح المعنى زيارة الناس بعضهم بعضاولفظ مدعاة من مادة دع وقالب "مفعلة" الدال على تسبيب الشيء أوكثرته مثل مشغلة وملهاة فمعناها لبسبب الداعي إلى... والألفة مصدر من ألف يدل على الفعل نفسه.١٦

هذه الخاصية خير دليل على روعة اللغة العربية صيغة ومعنى وغنى ما يتيح للأديب خيارات هائلة من المعاني ليدخل في نفس القارئ المشاعر الأدبية الحلوة كما يمكن الخطيب إثارة إنتباه السامعين في خطبته.

خاتمة

بعد أن نظر الباحث الى البيان السابق ظهر له الخلاصة في ما يلي :

أ. إن سر خلود اللغة العربية يكمن في كونها لغة القرآن الكريم. لكن السؤال يطرح نفسه لماذا اختار الله هذه اللغة لتكون لغة خاتم رسالات السماء؟ والجواب إن اللغة العربية يمتلك من الخصائص ما لا يملكه غيرها من اللغات.فإن اللغة العربية لها الخصائص في شتى عناصرها الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية وغيرها.

ب. خصائصها الصوتية تتمثل في عدم إهمالها لأي ناحية من أنحاء اللسان. هذا يزيد في نفس هذه اللغة أكثر حلوة في السماع.و خصائصها والمعجمية تتضح في ثرائها اللغوي الذي هيأ كل جنس من أجناس اللأشياء المتجانسة اسما خاصا مثل ما وجده الفيروزابدي في أسماء العسل.وأما خصائصها الصرفية

---

١٦ محمد المبارك, ٢٧٨.

والنحوية فتتسم في حركة الإعراب والقوالب. كل حركة وقالب يقتضي معنى معين وكلما تحول إلى قالب أو حركة أخرى تغير المعنى أو زاد. مثلا قلت " التزاور مدعاة للألفة" فالتزاور مؤلفة من مادة زور وقالب "التفاعل" الدال على المشاركة فأصبح المعنى زيارة الناس بعضهم بعضاولفظ مدعاة من مادة دع وقالب "مفعلة" الدال على تسبيب الشيء أوكثرته مثل مشغلة وملهاة فمعناها لبسبب الداعي إلى... والألفة مصدر من ألف يدل على الفعل نفسه.

ت. أما مشكلة اللغة العربية فكانت في مشكلة نهوضها وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها.بالإضافة إلى وجود دعاة العامية من بعض المثقفين العرب وتدميرها لأن اللغة الفصحى صعبة في نظرهم.وهناك مشكلة أخرى هي سوء منهج التدريس في المدارس العربية والأعجمية.

المراجع

محمد المبارك ,*فقه اللغة وخصائص الغربية*, بيروت : دار الفكر.

عبد الحميد محمد أبو سكين, *فقه اللغة*,مصر : مطبعة الأمانة, ١٩٨١.

محمود سيد, *اللغة العربية وتحديات العصر*, بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بدمشق عام٢٠٠٦.

مصطفى أحمد , *خصائص العربية بين القديم والحديث*, بلا ناشر.

الصاحبي, في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها , القاهرة.

, *خصائص العربية و طرائق تدريسه*, لبنان :دار النفائ. نايف معروف

ابن خلدون عبد الرحمن , مقدّمة , بيروت :دار إحياء التراث العرب.

محمد الشويخات, الموسوعة العالمية.٢٠٠٢.

محمد هزوي , مميزات اللغة العربية, مقالة منشورة في
(http://arabic.rt.com/forum/showthread.php?t=52413)